فضل العرب على علم الحيوان

تصدير

يعرف علماء مُصَر وسواهم ، ان الافرنج اقتبسوا من العرب ألفاظاً جمة ، واغلبها منتزع من الكيمياء ، والفلك ، والنبات ، والطب ، والحساب ؛ ولم يذكروا من الحيوان إلا شيئاً نزراً . مع ان الحقيقة ان ما استعاروه من أسماء الحيوان ، وكان أول من وضعها من تقدمنا من السلف ، أكثر بكثير مما انتحلوه لأنفسهم من سائر العلوم والفنون والصنائع .

وهذه الاسامي انتقلت الى أبناء الغرب ، من غير ان ينتبه هؤلاء الى انها من لغتنا . والسبب ان الافرنج لم يتلقوها رأساً عن السلف الصالح ، بل على أيدي أهالي بلادٍ بعيدة عن جزيرة العرب ، كأهالي افريقية ، وأميركة ، والهند ، وجزر المحيط الهادئ ، وسكان ذابج الى غيرها ، مما لا يمكن حصره .

أما كيف اقتبسها أولئك الأعاجم من العرب ، فان السرّ لم يبق غامضاً كما كان بالأمس . فقد اتضح لكبار الباحثين ، ان العرب وصلوا في سابق العهد الى ديار أميركة ، ومجاهل افريقية ، وأقاصي آسية ، لأنهم وجدوا آثاراً عادية ، هي من بقايا أبنيتهم وتمدنهم وثقافتهم بحيث لم يبق شك ولا ريب في هذا الأمر .

أما كيف وصلوا الى تلك الأرجاء النائية ، فهذا مما لم يتفقوا على تأويله . فمن قائل ان بني عدنان كانوا يبرحون منازلهم في أيام الشتاء او الربيع ، ويصلون الى أقاصي الشمال من آسية ، حيث مضيق بهرنك Détroit de Behring في فصل جموده ، فيتمكن كل انسان من عبوره سيراً على الأقدام الى اميركة أو على الدواب ، او على عجلات هي في منتهى البساطة والوضع (كذا) .

وأما الى افريقية ، فكان انتقال السلف الى ارجائها المتسعة ، من أقدم الازمنة ، لاتصال جزيرتهم بذلك البرّ المشابه لبلادهم في كثير من الأمور ، وهناك أدلة عقلية ونقلية ، لا تحصى ، تدل على صحة هذا القول .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد أصاب البصراء بعلم العجماوات ان أسامي لا تحصى ، لا يعرف اصلها ، فيجتزئون بقولهم : هذا الاسم وجد بهذه الصورة في لغة أهالي تلك الربوع .

ونحن لا نشك في ان الأندلسيين الذين رحلوا الى أميركة بعد وجودها ، كان أكثرهم يحسنون لغتنا ، فكان يسهل عليهم وضع الأسامي لتلك الخلائق ، من ذوات الأربع ، والطير ، والسمك ، والدويبات وان كان من سبقهم الى تلك الأنحاء ، سبقوهم أيضاً الى وضع ألفاظ أخر .

ولما جاء اليها أبناء أوربة ، وما كان لهم اطلاع على لغة أبناء مُضر ، اعتبروا تلك الأوضاع من مصطلح الأهالي أرباب تلك الاصقاع ، ولم يجهدوا انفسهم في معرفة أصل واضعها . أما الخبير البصير بلسان العرب ، فيشعر حالاً بأصلها في أول سماعه لها ، ويعيدها اليها ، بدون أدنى كلفة .

ونحن نذكر هنا بعض تلك الألفاظ ، وهي اسماء حيوانات ، منها في افريقية ، ومنها في اميركة ، ومنها في آسية ، وقد يكون بينها ، ما وُضع حكاية لصوتها ، ومنها لمزية فيها ، ومنها وصفاً لها على ما خيل اليهم ، ونحن لا نتبع نظاماً ما ، بل نوردها على ما تحضرنا ، ويسهل بعد هذا إيرادها على حروف المعجم ، او على ترتيب فصائلها وأجناسها وأنواعها وضروبها ، تبعاً لاصول العلماء المعروفة اليوم ، فنقول :

١ — الزبراء أو الحمار العتّابي[1]

الزبراء مؤنث الأزبر ، وهو المخطَّط والمكتوب والمزبور ، على ما يحصل من مراجعة لسان العرب في هذه المواد الثلاث وهي طويلة مملة .

وقد ورد الافعل بمعنى الفاعل والمفعول والمبالغة ومنه قولهم : الله أكبر والله أعلم ، للمبالغة ، بمعنى كبير عليم . — وقالوا : الأخطّ بمعنى الحسن البديع

(١) العتّابي هنا بمعنى المخطط والمُسيَّح ، وهو على وزن جبّاري نسبة الى محلة العتابيين من محالّ بغداد في عهد العباسيين ، وكان يصنع فيها ثياب مخططة بيض وصفر فاقعة ومشبعة ، ومن العتابيّ اشتق الفرنسيون كلمتهم Tabis بهذا المعنى وقد حذفوا من كلمتنا العين والتاء الأولى ، وسماه الانكليز Tabby فزادوها تشويهاً فحذفوا ما حذفه الفرنسيون أي الهجاء الأول من الكلمة وعوّضوا عنه بتضعيف الباء الموحدة التحتية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحسن . وقالوا : رجل أقلّ ، اي فقير وله بقية - وقالوا : الاسم الاعظم . وقالوا : أقلّ رجل يقول ذلك إلا زيد ، اي ما رجل يقوله إلا زيد .

فهذه ونظائرها وهي لا تحصى لكثرتها ، تدل على ان صيغة أفعل قد تأتي بمعنى غير معنى المفاضلة . فالأزبر هنا معناه الكثير الزبور أي الخطوط . ومؤنثه الزبراء . والحيوان المعروف بالزبراء هو حمار معروف بكثرة ما عليه من الخطوط ، كأن فناناً ماهراً خطها بيده بمهارة عجيبة لا يماثلها مهارة . وقد رأيت واحداً من هذا الحيوان في حَيْر[1] القاهرة ، في سنة ١٩٣٤ وكنت مع الدكتور أندراوس شخاشيري صديقي الحميم .

أما سبب تأنيث اللفظ ، وان كان يراد به الذكر ، فلأن هناك حرفاً محذوفاً هو « دابة » فيكون أصل الوضع : « الدابة الزبراء » وبالفرنسية Zèbre وبالانكليزية Zebra . والدابة في لغتنا تقع على الذكر والمؤنث . فالزبراء إذن ، لفظة مؤنثة ، تقع على الحيوان الذكر والأنثى . أما الافرنج فلم يعرفوا أصل هذا اللفظ ، بل قالوا : هي لفظة وضعها أهل تلك البلاد لحيوانهم هذا ، من غير ان يعينوا القوم الذي نطق به ، ولا حقيقة لغتهم . أما بعد هذا ، وبعد ان وقفت على هذه التفاصيل ، فلا يجوز لك ان تتابع تلك الآراء الدالة على الجهل بل تعطي لكل ذي حق حقه .

ومن مترادفات الزبراء : الحمار العتابي ، وحمار الزرد والحمار الوحشي المخطط . ولا جرم ان أحسنها واصدقها مدلولاً على صاحبها : ماذكرناه لاتفاق جميع اللغات على تسميتها .

وأما التفاصيل المتعلقة بهذه العجماء ، فنتركها للعلماء الذين يعنون بها ، اختصاراً للموضوع .

٢ — المرابط والأرجل

المرابط ، اسم فاعل من رابط يرابط مرابطة ، وهو طائر يعرف عند الفرنسيين بمرابوط Marabout وعند الانكليز مرابو Marabou او Marabu واسمه العلمي Leptoptilos crumenifer ومعناه : الطائر اللطيف الريش ذو الجراب . ومنه ضرب

(١) المراد بالحير (بحاء مهملة مفتوحة ، يليها ياء مثناة تحتية ساكنة ، وفي الآخر راء) ما يسميه بعضهم اليوم حديقة الحيوانات ترجمة للانكليزية Zoo ، أو للفرنسية Jardin Zoologique والحير معروفة في كتب التاريخ من عهد العباسيين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آخر يسميه العلماء L. dubius ، أي المرابط الطَّواف ، ويسمى أيضاً بلسانهم L. argala أي المرابط الأرْجل . أي الطويل أو العظيم الساقين . فقولهم الأرْجل ، واضح انه من العربية بلا أدنى شك .

اما سبب تسميته بالمرابط على ما يقوله علماء الغرب فلأن معنى المرابط عند العرب كمعنى الربيط وهو الراهب الزاهد والحكيم الذي نزه نفسه عن الدنيا . وعرف هذا الطائر بذلك لأنه يقف ملازماً مكانه ساعاتٍ طوالاً ولا يغادره الا عند الضرورة القصوى ، لانه من الشاهرجات المولعة بأكل الضفادع والحيات ولا سيما تلك التي تعيش في الماء . والمرابط والربيط بمعنى هذا الطائر لم يردا في كتب السلف ولم يقيدوه في معاجمهم ، ولا أتوا على ذكره في كتب الحيوان ، لأنهم لم يعنوا عناية صادقة بعلم المواليد ، ولا سيما ما كان منها خاصاً بالحيوان في اقسامه الثلاثة

اما ان المرابط كان معروفاً عندهم فمما لا ريب فيه ، اذ كيف نقله الغربيون عن السلف ، والسلف لم يعرفه ؟ واما انه من لساننا ، فهو من المؤكدات ، اذ يقرُّ بأصله العدناني جميع لغويينهم على اختلاف قومياتهم .

والذي أعرفه انا بنفسي ، اني مررت في شهر تشرين الأول (اكتوبر) من سنة ١٨٩٤ ، ببطائح البصرة وما جاورها ، وكان هناك من أنواع الطير ما يدهش كل انسان ، ومنها تلك الطيور ما كان يسبح ومنها ما كان يطير فوق مياهها ، ومنها ما كان واقفاً على شواطئها . فسألت واحداً كان هناك : ما هذا الطائر الطويل الساقين ذو الخريطة على صدره ؟ — قال : هذا المرابط . - قلت : ولِمَ تسميه بهذا الاسم ؟ — قال : لانه يرابط في موطنه ولا يغادره الا في النادر .

وسألت آخر : ما تسمي هذا الطائر ؟ — قال : هذا اسمه المربوط . — قلت : ولماذا تسميه مربوطاً ؟ قال : لأنك تراه واقفاً في مكانه بدون حراك ، كأنه مربوط برباط لا يدعه الافلات من مُقامه .

وسألت آخر عن اسمه . فقال : اسمه ابو قرْبة . قلت : ولماذا ؟ - قال : لأنك ترى على صدره ما يشبه القربة . ولو سألت رابعاً وخامساً وسادساً ، لسمعت منهم اسماء أخر غريبة عجيبة ، مما يدل على ان مفردات اللغة كثيرة لا تحصى وغير مقيدة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في الدواوين ، وان اسماء الذوات والأعيان تختلف باختلاف البلاد والعباد والقبائل ، بل باختلاف الأفراد الذين ينطقون بهـا ، وبمختلف الأزمان . فلعل بعض تلك الألفاظ قديمة الوضع ، وبعضها حديثة ، وأخر من وضع المتكلم نفسه ، لانه لا يريد ان يظهر نفسه جاهلاً ، فتستصغره عينك وتحتقره على ما يبدو له .

وأهل السودان يسمونه (أبو سُعْن) والسعن ، بضم السين ، يُشبه الدلو في بعض مستعملاتها ، فهو كقول بعض العراقيين (أبو قِرْبة) .

٣ً — الأَرْجَس والتُلَجَة

التُلَجَة ، وزان صُحكة ، ضرب من القردان السامة يتعرّض للانسان والحيوان ، والكلمة مشتقة من الولوج بمعنى الدخول ، لانه قد يدخل في مواطن من الانسان لا يحسن ذكرها . — والأَرجَس ، افعل بمعنى فاعل او فعيل للمبالغة واللفظ مشتق من رَجِس الرجل يَرْجَس ، كعلم يعلم ، ورُجُس يَرْجُس ككرم يكرم ، اذا عمل عملاً قبيحاً . وانما سماه العرب (ارجس) لكثرة أذيته للانسان والحيوان . وهو كثير الوجود في ديار فارس ، ومنه اسمه العلمي الأرجس الفارميّ Argas Persicus . وأما الاميركيون فيسمونه تَلَجَه ، بالتحريك اي Talaje . واسمه العلمي الارجس التلجة A. talaje

وقد ذهب علماء اللغة من الغربيين ان الكلمة مأخوذة من لغة أهل اميركة الوسطى ، من غير ان يذكروا اسم تلك اللغة ولا اسم القوم الذي وضعهـا ، أما أصلها العربي فظاهر كل الظهور .

٤ً — القَروض

هذا اسم جنس من القوارض اللبونة ، وهو يشمل سناجيب صغيرة مبثوثة في افريقية وآسية واسمه بالفرنسية Xérus وهو واضح الأصل العربي ، ولم أهتد الى اسمه العلميّ .

٥ً — العوّام

العوّام وبالانكليزية Yuen ضرب من القرَدة ، موطنه سيام وجنوبي الصين وجزيرة هائنان ، ولا يعيش إلا متسلقاً الأشجار ، وله ذراعان طويلتان جداً ، ولون الذكر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أسمر مشبع ، او أسيمر ، وله لُجمة ثخينة وشعره اسود حالك . ومن المألوف انه يُرى على رأسه نكتة بيضاء تداني جبهته . وأما لون الانثى ، فأبيض أصيفر ، مع نكتة مظلمة على صدرها ونكتة أخرى فوق قمة رأسها .

ومن مزية هذا القرد انه يعوم في الغابات ، أي يطوف فيها فهو لا يترك شجرة إلا من بعد ان يمسك بأخرى ولهذا سماه العلماء Hylobates pileatus أي الطوّاف و العوّام في الغابات ذو الفليلة .

٦ — الواضحي

الواضحي ، وبالانكليزية Wapiti وبلسان العلم Cervus canadensis اي الأيل الكنديّ ، هو ضرب من الأيل ، موطنه الأصلي كندة (بالتحريك) من ديار اميركة الشمالية ، وهو يشبه حاقّ الشبه الظبي الاحمر الاوربي . وقد يزيد حجمه قليلاً على حجم أخيه الاوربي ولقد ارتأى بعضهم ان هذا الأيّل ضرب من الظبي الأحمر ، وذهب آخرون الى انه نوع منه .

وهو مشهور بقرنين كبيرين متشعبين . ويظن لغويو الاميركيين ان اسمه من لغة الإيركوة ، وهم من أهل كندة الاصليين وينزلون الارض الواقعة بين البحيرتين ارلة Erlé وانتاريو Ontario . والذي عندنا ان هذا الاسم مأخوذ من صفة لونه وهو (الواضح) مكسوعًا بياء النسبة فقد قال لغويونا : الواضح : الابيض من الإبل غير شديد البياض والابل هنا للتمثيل لا للتخصيص ، فقد يكون هذا اللون المذكور لبعض ضروب الأيائل كما هو الأمر هنا .

٧ — اليَعْفور

في الصين ، ضرب من الظباء يسميه الانكليز Elaphure والعلماء Elaphurus Davidianus أي اليعفور الداوديّ وقد ذهب فقهاء اللغه من أبناء بريطانية الكبرى ان اصل اللفظ من الهلنية Elaphos اي إيّل والذي عندنا نحن ان الكلمة من اليعفور ، وهو واضح . فقد قال لغويونا القُدَامى : اليَعْفور ، بالفتح وبالضم : ظبي بلون التراب ، او عام . وقال بعضهم : اليعافير (التي هي جمع اليعفور) : تيوس الظباء . واليعفور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مأخوذ من العفرة وهو لون الأعفر ، وبياض ليس بالخالص . والأعفر من الظباء : ما يعلو بياضه حمرة ، والذي في سَرَبه حمرة وأقرابه بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض .

وعلوّ اليعفور نحو أربع اقدام عند كتفيه ، وله قُرَينان نَعْلان[1] خاصان به .

٨ — الحفث السام

الحفث السام هو المسمى بالانكليزية Elaps وهو أفعى سامة تُرى في العالمين : القديم والحديث . وقد قيدنا هنا بالسام ، لأن الحفث لا يكون سامًا البتة . والظاهر ان الكلمة لما وُضعت لهذه الأفعى ، كان يقال : الحفث السام فلما اشتهر بين الناس ، واستثقلوا اسمين لمسمى واحد ، حذفوا السام ، واحتفظوا بالحفث . والانكليز يجهلون أصل هذا الحرف . ولا يؤوّل الا بما ذكرناه .

٩ — الضناك

الضناك ، بكسر الأول ، وبالانكليزية Dingo كلب وحشي يُرى في استرالية ، ويُظن انه نقل اليها منذ الأزمنة الواغلة في القدم ، وهو مُوثق الخلق شديده ويشبه رأسه رأس الذئب أو ابن آوى ، وله ذيل وافر الشعر ، ولونه أسمر أحمر ويذهب جماعات لطلب رزقه ، وعلماء العجماوات من الانكليز والاستراليين لا يعرفون معدن الكلمة ، ونظنها من لغتنا من قولهم : الضِناك : الموثق الخلق ، الشديده .

يتبع (بغداد) الاب انستاس ماري الكرملي

---

(١) القرين الثعل : قرن صغير ينمو عند تقدم الايل في السن وينمو أيضاً في قرن الظبي الاعفر ومعز الجبل ونظائرها . والثعل في لغتنا ، ويقال بالفتح والضم ، زيادة في أطباء الناقة ، والبقرة ، والشاة والسن الزائدة خلف الأسنان ، ودخول سن تحت أخرى في اختلاف من المنبت وهذا يوافق القُرَين الذي ذكرناه واسمه بالفرنسية andouiller وبالانكليزية antler .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net